لمسةٌ إلى الماضي

بفخرٍ استثنائي، كان خمسة أبطالٍ صغار يستعدون للمجد: أوس، ليث، مهند، عمر، وسامي؛ طلاب الصف الثالث المتوسط في مدرسة "الفرسان". فازوا للتو بمسابقة "البحث التاريخي للناشئة"، وكانت الجائزة رحلة إلى متحف الحضارات الوطني الموجود في الرياض.

كانت الحافلة تسير بهدوء نحو الوجهة المحددة، وعلى متنها الفتية الخمسة بحماسهم وشغفهم الشاب.

قال عمر القائد، وهو يبتسم: يا رفاق، فوزنا في المسابقة كان يستحق العناء." أجاب مهند، الملمّ والمحبّ للتاريخ: "بالتأكيد، فالمتحف يحتوي على كنوز لا تُقدّر بثمن.

أضاف أوس: أتمنى أن نرى المخطوطات القديمة." تدخل ليث المغامر: "أنا لا أهتم بالوثائق، أريد رؤية التحف العسكرية أو الأشياء الغامضة، ربما لديهم كنوز سرية!

هز سامي الحذر رأسه: أتمنى فقط ألا نقع في المتاعب.

وصلت الحافلة إلى مبنى المتحف المهيب. نزل الطلاب الخمسة يتقدمهم الأستاذ عادل. بدأ الأستاذ يشير إلى عظمة الصرح وتاريخه.

أهلًا يا أبطال، انظروا إلى هذا الصرح العظيم، الذي يحفظ ذاكرة أمتنا. هذا المكان تأسّس في فترة زمنية... بدأ الأستاذ عادل يشرح بأسلوبه الواثق.

قاطع سامي معلمه على الفور، رافعًا يده باحترام: "عفوًا يا أستاذي، مع تقديري، لكنني قرأت في معجم المعاني أنه يجب أن نقول: 'أُسِّسَ الصرح'. الفعل 'أُسِّس' هو الصحيح في المبني للمجهول في هذا السياق، وليس 'تأسس'.

ابتسم الأستاذ عادل قائلًا: أحسنت يا سامي! يا لعمقك اللغوي!

بدأت جولة الاستكشاف. سار الطلبة الخمسة بين الأجنحة الواسعة، حيث كانت المعروضات مرتبة بدقة. رأوا الأواني الفخارية، والمنسوجات القديمة، وبعض الأدوات العائدة للعصور السابقة.

همس ليث الذي كان يتوقع شيئًا أكثر إثارة: هذه الأشياء عادية جدًا، أين التحف النادرة؟

سار الطلاب بين الأجنحة المبهرة، حتى وصلوا إلى ركن مُخصص للتحف النادرة والمجهولة. وسط المعروضات، لفت نظرهم قطعة غير عادية لم يُكتب عليها أي بيان: مكعب صغير من حجرٍ أسودَ قاتم، مُزيّن بنقوش غامضة، ويخرج منه وميض خفيف شبيه بالنبض.

همس سامي: "يا إلهي، هل هذا حجر كريم أم قطعة من نيزك؟" محاولًا فك تعقيد النقوش.

تجاهل ليث لافتة "ممنوع اللمس"، واندفع بفضولٍ عارم، ولمس بيده المكعب الأسود البارد.

تحوّل الوميض الخفيف فجأةً إلى ضوءٍ أزرقَ ساطعٍ اجتاح المكان. شعر الطلاب بدوارٍ رهيب. سمعوا صوت صريرٍ معدنيٍ حاد، وكأن آلةً ضخمةً بدأت عملها.

صرخ عمر بذعرٍ شديد: "ما هذا؟! ابتعدوا عن الحجر!"

انزلقوا إلى هاويةٍ، ليُخيّل لهم أنهم ارتطموا بالأرض برفق، وعندما فتحوا أعينهم بزغ النور في الأفق البعيد ليحيطهم في لحظات.

مهند كان أول من استعاد توازنه. فتح عينيه ببطء، ونظر إلى الأفق أمامه. لقد كان في حالة صدمة من المنظر؛ لم يعرف ماذا حدث؟ وكيف حدث؟ وأين هم الآن؟ يا للهول، هل نحن في فيلمٍ وثائقي؟ الجو، هذه الجدران... لا يمكن أن يكون هذا جزءًا من المتحف!

نظر ليث إلى نهاية الزقاق أمامه، ومشى بخطى واثقة تُخفي توتره العميق، متمسكًا بالمكعب الأسود الذي يشع بضوءٍ خافتٍ بين أصابعه.

هيا يا رفاق! لا فائدة من الوقوف هنا. يجب أن نكتشف أين نحن لنعرف كيف نعود!

تشجّع الفتية وساروا بخطاهم وراء ليث، إلى أن أتوا إلى نهاية الزقاق. كان أمامهم سوقٌ قديمٌ يضج بالحياة، فيه التوابل ذات الألوان، والفواكه، والخضار، ومن جميع خيرات الأرض، ويُطلّ على نهرٍ طويلٍ عظيمٍ يجري بهدوءٍ وشموخ.

نظر الصبية إلى النهر، وعندها أدركوا أنهم عادوا بالزمن إلى العصر القديم. رأوا الجمال، والبغال، والحمير، والعربات المحمّلة بالناس والبضائع، والملابس القديمة البسيطة المصنوعة من الكتان والخيش. لقد كانوا دخيلين وغرباء في ذاك العصر.

تحولت الأنظار حولهم، فالجميع ينظر إليهم وإلى الحجر الذي بيدهم. ملابسهم الغريبة، أشكالهم، نظرات الخوف والتوتر في أعينهم...

وبعد تجوالهم القصير في السوق القديم، قال عمر بحماس وقد استعاد بعضًا من روحه القيادية: انظروا! النهر قريبٌ منا، يمكننا الوصول إليه سريعًا. يجب أن نجد مكانًا هادئًا لنتشاور ونفكر في خطة للعودة قبل أن تزداد الأمور تعقيدًا!

انطلق الفتية إلى النهر، وإذا بالصيادين يملؤون الضفة، يرمون شباكهم ويغنون أهازيج شعبيةً قديمة قريبةً من القصر الضخم.

اقتربت منهم مجموعة من رجالٍ يرتدون الكتان الأبيض، تعلو رؤوسهم أغطية بسيطة تدل على مكانتهم. نظر أحدهم إليهم باستغرابٍ شديد، ثم تقدم بخطواتٍ رزينة، وسألهم بلغة لم يفهموها، غير أن نبرة صوته حملت شيئًا من الدهشة وكثيرًا من الحذر.

تبادل الفتية النظرات فيما بينهم، عاجزين عن الكلام، فزاد اضطرابهم حين لمحوا خلف الرجل جنودًا يحملون رماحًا طويلة وترتسم على وجوههم الصرامة.

سُحب الفتية بعنفٍ من قبل الجنود.

صرخ سامي باندفاع: "أين تأخذوننا؟"

جاب أحد الجنود بلغةٍ غير مفهومةٍ لهم، لكن نبرته الصارمة جعلتهم يصمتون، حتى وصلوا إلى قلعةٍ رمليةٍ ضخمةٍ لا تبدو وكأن صاحبها رجلٌ بسيط. أُلقي بهم في زنزانةٍ مظلمة، ثم أُغلقت ليتركوهم لوحدهم مجددًا.

همس مهند، وهو لا يكاد يخفي نبرة القلق التي تسللت إلى صوته، قائلًا: "ماذا سنفعل الآن؟ نحن غرباء على هذا المكان."

طمأنهم عمر بثقة محاولًا أن يبدو أقوى: لا تقلقوا، سنجد حلًا. لا يجب أن نفقد الأمل، فقط لنبقَ معًا ونفكر بهدوء. ربما علينا التركيز على المكعب الأسود... هو سبب وصولنا، وربما يكون مفتاح خروجنا.

بعد عدة دقائق، فُتحت الزنزانة بعنف، وظهر رجلٌ ضخمُ البنية يرتدي درعًا نحاسيًا لامعًا، نطق بصوتٍ أجشٍ وعميق:

تعالوا معي، أيها الغرباء. الملك يريد رؤيتكم الآن.

تبادل الفتية النظرات عاجزين عن الكلام، هل تحدث بلغتهم للتو؟

قادهم الرجل الضخم، الذي بدا أنه القائد العسكري، عبر ممرات القلعة المضاءة بالمشاعل، إلى قاعةٍ فخمةٍ واسعة، تتوسطها منصة مرتفعة يجلس عليها حاكم البلاد. كان الملك يرتدي ملابس حريرية مطرزة بالذهب، وتبدو عليه ملامح الهيبة والصرامة.

نظر الملك إليهم بحدة وأمرهم بتقديم أنفسهم. كان الملك غاضبًا بسبب ضجة السوق وغموض الغرباء.

في تلك اللحظة الحاسمة، اهتز المكعب في يد ليث. سمع الفتية صوتًا عميقًا ومعدنيًا يتردد في عقولهم: أيها الملك! أنا الحارس! أنا لست أداة سحر، بل تقنية زمنية! لقد جئت بهؤلاء الفتية، المسافرين عبر آلاف السنين، لحل لغزٍ ظل مخفيًا لقرونٍ في هذا القصر!

تجمد الملك في مكانه، وعلامات الصدمة والذعر على وجهه. أدرك الفتية أن المكعب الأسود نفسه كان يعمل كمُترجمٍ فوريٍ كوني، ينقل لغة الملك القديمة إلى كلماتٍ تدركها عقولهم، وهذا ما جعلهم يفهمون الأدميرال والملك.

استغل عمر لحظة الارتباك وشرح للملك بثقة:

يا صاحب الجلالة، نحن لسنا أعداء. المكعب هو من أحضرنا، وهو مفتاح عودتنا. إذا سمحت لنا، سنحل اللغز الذي يشير إليه ونعود إلى زمننا.

استشار الملك وزراءه، ثم وافق بتردد، وأمر بإطلاق سراحهم مؤقتًا.

أصدر المكعب اللغز الأول: ما هو الشيء الذي يحمل الماء بلا يد، ويبني البيوت بلا أحجار، ويعبر الأرض بلا أقدام، ويزيد كلما أخذتَ منه؟

انطلقت العقول الخمسة في العمل. فكر سامي وأوس في العناصر المادية، بينما ركز مهند على المعاني المجردة.

أخيرًا، تذكر مهند معلومةً من بحثهم التاريخي، وصاح بثقة: "إنه العلم!" وفسر كيف أن العلم يبني الحضارات ويزيد مع التبادل.

أطلق المكعب ضوءًا أزرق ساطعًا، معلنًا نجاحهم. شعر الملك بالدهشة والامتنان عندما كشف حل اللغز عن ممرٍ سريٍ يحتوي على وثائق تاريخيةٍ قيمةٍ لم يُعرف بوجودها.

تيارٌ قويٌّ اجتاح المكان ليعلم الجميع أنه وقت العودة.

رفع ليث المكعب ليهتف بصوته الأخير: لقد أثبتم جدارتكم!

انبعث ضوءٌ أزرق قويٌ جدًا. شعروا جميعًا بدوارٍ شديد.

لم تستمر الرؤية الواضحة إلا لثانيةٍ واحدة قبل أن يغوص الجميع في سوادٍ مفاجئ، لم يدم طويلًا.

فتحوا أعينهم على صوت الأستاذ وهو يناديهم: أوس، ليث، مهند، عمر، سامي؟ ماذا حل بكم؟ هل أنتم بخير؟

نظر الفتية إلى بعضهم البعض، وعلى أستاذهم ليطمئنوه أنه دوارٌ خفيفٌ جماعيٌ أصابهم من الإرهاق.

فقط التفت الجميع لينظروا إلى المكعب الذي يحيط به الهدوء والسكينة خلف الزجاج، نظرةٌ تُخفي الكثير من الأسرار والمغامرة الحقيقية.

غادروا المتحف عائدين إلى الحافلة، ليدركوا أن هذه المغامرة الغريبة بدأت وانتهت بلمسةٍ واحدة. لقد كانت رحلةً مدرسية خُلدت في ذاكرة كل فتٍ منهم.

القيمة: تعزيزروح التعاون والتكاتف في حل المشكلات، وتحفيز الشغف والمغامرة والاجتهاد في طلب العلم.

المفردة الشائعة وتصويبها: (تأسست) تصويبها (أسست)

عدد كلمات القصة: ١٢١٨ كلمة

اسم المجموعة: الإتقان.

القائدة: ملاك سعيد الوادعي

الأعضاء: الكادي العتيبي - نورة المطيري - ايلان بديوي - يارا القرشي - حور الغامدي - هبه فلاته.